

الاحتلال البريطاني لولاية البصرة (١٩١٤-١٩١٥م)

British Occupation of Basra Wilaya (state)

1914 - 1915

م.م. هدى جواد كاظم - م.م. إسراء شرشاب عايد

جامعة ذي قار / كلية التربية للعلوم الإنسانية

Huda J. Kadhim, Assistant Lecturer

Asra' Sh. Aayed, Assistant Lecturer

College of Education for Human Sciences,

University of Dhi Qar



## ملخصُ البحث

اكتسب العراق أهميّة كبيرة في السّياسة البريطانيّة منذ بداية النّشاط البريطانيّ في الخليج العربيّ في الرّبع الأوّل من القرن التّاسع عشر؛ إذ اتّخذ الاستعمار البريطانيّ أكثر من ستارٍ للسيّطرة على العراق؛ لما تميّز به من النّاحية الجغرافيّة والاقتصاديّة، فأجهدت بريطانيا نفسها للسيّطرة عليه، فاستغلّت التّجار والبحّارة، والدّبلماسيّين، والقناصل، والسّيّاح، والخبراء اللّذين كانوا يكتبون التقارير المفصّلة والدّقيقة عن العراق، واضعين بذلك أولى أسس وقواعد الاحتلال.

ومثلما كانت حماية الهند ضروريّة لبريطانيا، فإنّ تنمية مصالحها في ولاية البصرة كانت ضروريّة أيضاً؛ ولذلك نمت لبريطانيا في العراق مصالح تفوق أيّة دولة أوروبيّة، وكانت مصالح تجاريّة بالدرجة الأولى؛ لذلك كانت صادرات العراق لبريطانيا تشكّل نسبة كبيرة. وكذلك احتكرت السّفن البريطانيّة نقل تسعة أعشار الحمولات التي مرّت عبّر ميناء البصرة عام (١٩٠٠)، وقد حاول البحث تسليط الضّوء على هذه الجوانب.

## ABSTRACT

British policy paid keen attention to Iraq since the beginning of British activities in the Arab Gulf in the first quarter of the 19th Century. The British imperialism had a number of justifications to control Iraq for both geographic and economic reasons. To achieve such aims, Britain utilized traders, sailors, diplomats, consuls, tourists, experts, etc, who used to write detailed and accurate reports on Iraq paving the way as such for the occupation of the country.

Just as the protection of India was necessary for Britain, the promotion of its interests in Basra was equally important. Therefore, the British interests in Basra have exceeded those of other Europeans. These interests were primarily commercial. That is why Iraq's exports to Britain constituted a noticeable proportion. Besides, British ships monopolized carrying nine tenths of all cargoes through Basra Port in 1900.

## المقدمة

كان العراق من الأقطار العربيّة التي انشغل السّاسة البريطانيّون كثيراً في كيفة السّيطرة عليه، لأسباب عديدة، منها:  
أولاً: أسباب استراتيجية قائمة على أساس ربط السّواحل الشّرقية للبحر المتوسّط بمدخل الخليج العربيّ، وصولاً إلى المستعمرات البريطانيّة في الهند (درة التاج البريطانيّ).

ثانياً: أسباب اقتصادية متمثلة بالمطامع البريطانيّة في إمكانات البلد الاقتصاديّة من خامات وموادّ أوليّة كانت بالمصانع البريطانيّة حاجة ماسّة إليها في أعقاب الثورة الصّناعيّة، وقد استغلّت بريطانيا كلّ السّبيل لتمهيد الطريق، فاستغلّت: التّجار، والبحارة، والدبلوماسيين، والقناصل، والسّياح، والخبراء اللّذين كانوا يكتبون تقارير مفصّلة ودقيقة عن العراق، واضعين بذلك أولى أسس وقواعد الاحتلال.

ومثلما كانت حماية الهند ضروريّة لبريطانيا، فإنّ تنمية مصالحها في ولاية البصرة كانت ضروريّة أيضاً؛ ولذلك نمت لبريطانيا في العراق مصالح تفوق أيّة دولة أوروبيّة، وكانت مصالح تجاريّة بالدّرجة الأولى؛ لذلك كانت صادرات العراق لبريطانيا تشكّل نسبة كبيرة، وقد احتكرت السّفن البريطانيّة نقل تسعة

أعشار الحمولات التي مرّت عبر ميناء البصرة عام (١٩٠٠).  
فُسِّمَت الدِّراسة إلى ثلاثة مباحث، تضمَّن المبحث الأوَّل مصالح بريطانيا في  
العراق، فيما تناول المبحث الثاني الزعامة السِّياسية في البصرة والعلاقة العثمانيَّة  
لبريطانيا، وتسَلَّط المبحث الثالث على الاحتلال البريطاني في ولاية البصرة.

## المبحث الأول

### مصالح بريطانيا في العراق

اكتسب العراق أهمية كبرى في السياسة البريطانية منذ بداية النشاط البريطاني في الخليج العربي في الربع الأول من القرن التاسع عشر<sup>(١)</sup>، فأخذ الاستعمار البريطاني أكثر من ستار للسيطرة على العراق<sup>(٢)</sup>، ولما تميز به العراق من الناحية الجغرافية والاقتصادية، بذلت بريطانيا كل ما في وسعها للسيطرة عليه؛ لذا جهّزت حملة عسكرية لاحتلاله في عام (١٩١٤)، وهذا لم يتم إلا بعد مناقشات طويلة بين السياسيين والعسكريين في الهند وبريطانيا، فتهيأت أسباب وراء الاحتلال البريطاني للعراق، وعُدّت أسباب حقيقية ومباشرة<sup>(٣)</sup>، وتكمن هذه الأسباب في المصالح الاستراتيجية والاقتصادية، فاحتلال بريطانيا للعراق لم يكن وليد الساعة، وإنما هو حصيلة جهود تعود إلى أوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ونستدلُّ على ذلك من خلال إشارة الرَّحالة (جيري) (JerrY) عام (١٨٣٨): «أنّه لكي يربط العراق ببريطانيا ربطاً مستمراً لا بدّ من احتلاله»<sup>(٤)</sup>.

سعت بريطانيا للاستحواذ على العراق بولاياته الثلاث: بغداد، الموصل، البصرة، وكان العراق -آنذاك- خاضعاً للسيطرة العثمانية، وقد تنوّعت أساليب

البريطانيين لاحتلال العراق ونهب ثرواته<sup>(٥)</sup>، وذلك من خلال بثّ العيون والخبراء في العراق، لدراسته من جميع الجوانب<sup>(٦)</sup>، وإنّ اهتمام بريطانيا بالعراق يرجع إلى عهود سابقة تعود إلى ثلاثة قرون مضت؛ إذ أصبح العراق أحد طرفي الوطن العربي، ويحتلّ جزءاً كبيراً من تفكير الاستراتيجيين البريطانيين؛ لأهميته الاستراتيجية، أي: مركزه (السوقي)، الذي يربطه بالخليج العربي وإيران<sup>(٧)</sup>.

كان من أسباب احتلال بريطانيا للعراق هي المصالح الاستراتيجية والاقتصادية - كما ذكرنا سابقاً-؛ لذا تكمن أهمية العراق الاستراتيجية بالنسبة إلى السياسة البريطانية<sup>(٨)</sup> في موقعه الجغرافي، فالعراق يتوافر فيه جميع الأوصاف الجغرافية، فهو يملك أرض خصبة تكثُر فيها المعادن الثمينة، وأراضيه صالحة لزراعة الحبوب، وهي ذات أهوار تكثُر فيها الأسماك، إذن؛ فعلى كلّ دولة تمرّ بواخرها في سواحل (البحر المتوسط) أن تضع يدها عليه، ولكي تمسك طرفي الوطن العربي بكلابتين، إحداهما في العراق، والثانية في جبل طارق<sup>(٩)</sup>، ولكي يؤمّن التجار الحماية لبضائعهم عند مرورها عبر أراضي الدولة العثمانية، كان عليهم أن يأخذوا عهداً عثمانية تضمن لهم الحماية والمعاملة الحسنة تجاههم<sup>(١٠)</sup>، فالتجار عندما استخدموا طريق رأس الرجاء الصالح اتّصلوا بموانئ الخليج العربي، واستطاعوا إنشاء مراكز هناك، وعلى هذا كانت إستانبول من جهة والخليج العربي من جهة أخرى أقدم مركزين امتدّ منهما النفوذ البريطاني إلى العراق، وكان -آنذاك- تابعاً للسلطان العثمانيّ اسمياً؛ لأنّه من جهة عملية خاضع للولاية المماليك، لكن بسقوط المماليك أصبح العراق تابع للسلطان العثمانيّ بصورة مباشرة، وعززت بريطانيا وجودها في العراق<sup>(١١)</sup>.

إذن؛ ما الذي يجب أن يصاحب التوجّه البريطانيّ في العراق لكي يكون على معرفه تامّة هذه المنطقة؟ لا بدّ من أن يصاحبه دراسة عن أحواله وأوضاع المجتمع العراقيّ<sup>(١٢)</sup>، وذلك عن طريق جمع المعلومات عن موقع العراق الاستراتيجيّ، وعن كلّ نواحيه، ومن تولىّ تلك المهمة هم الدبلوماسيون الموجودون في العراق في تلك الحقبة، فهم من جمع المعلومات عن موقع العراق الجغرافيّ، وأعدّوا الخرائط، ووضعوها بأيدي الدوائر السياسيّة والعسكريّة البريطانيّة، وكانت تلك الخرائط ذات أهميّة إبان الاحتلال البريطانيّ للعراق عام (١٩١٤)، فهل كان العثمانيّون على غفلةٍ من ذلك؟! الجواب: لا، بل لفت هذا النشاط البريطانيّ العثمانيين حين تنبّه موظّف عثمانيّ إلى تحركات الدبلوماسيين وتجوّاهم في مناطق خطره لرسم الخرائط<sup>(١٣)</sup>. وقد أدّت رحلة (فرنسيس رادون جسني) في المدّة بين حَزيران عام (١٨٣٠ - وحَزيران ١٨٣١ حتى ١٨٣٤) دوراً كبيراً في استقرار النفوذ البريطانيّ في العراق؛ لما أورده من معلومات استطلاعيّة عن نهر الفرات الذي عدّه بأنّه أنسب طريق لربط الشّرق بالغرب بخطوط منتظمة من البواخر؛ لذا استخدم البريطانيّون نهر الفرات خدمةً لمصالحهم وأغراضهم الاستراتيجيّة، فعدّ البريطانيّون العراق مجالاً حيويّاً لإسكان عدد كبير من السكّان الذين يفيضون عن قابليّة الهند، فهو أحد الطرق الرّئيسة التي تمّ بريطانيا بالسيطرة عليه لحماية الهند؛ لذا، فإنّ أوّل العوامل لاحتلال بريطانيا العراق موقعه الاستراتيجيّ<sup>(١٤)</sup>.

تنوّعت الأسباب لاحتلال بريطانيا العراق، ففضلاً عن الأسباب الاستراتيجيةّة، كانت هناك أسباب اقتصاديّة متمثّلة بمصالح بريطانيّة تطوّرت

بدرجة كبيرة في أثناء القرن التاسع عشر<sup>(١٥)</sup>، وتنوّعت تلك المصالح بتنوّع أساليب التغلغل، إذ كانت المصالح البريطانيّة في العراق حتّى نهاية القرن التاسع عشر مقتصره على طريق الهند<sup>(١٦)</sup>، فمنذ تأسيس شركة الهند الشرقيّة الإنكليزيّة عام (١٦٠٠)، وظهر أهميّة البصرة في الطريق إلى الهند، أخذت بريطانيا بإرسال بعثات، سواء في الكشف عن طريق الملاحة، أو البعثات التبشيريّة<sup>(١٧)</sup>، إذن؛ تطوّر التمثيل الدبلوماسيّ في العراق يرتبط بنموّ وتطوّر تلك المصالح البريطانيّة، فما هي مهمّة هؤلاء الدبلوماسيّين البريطانيّين المتواجدين في العراق آنذاك؟ مهمّتهم هي دعم تلك المصالح، وحلّ المشكلات التي تعترضها من قبل السّطات المحليّة؛ لذا اهتمّوا بتلك المصالح بصورة كبيرة خلال القرن التاسع عشر؛ بسبب ظهور المنافسة الروسيّة، ما دفعهم ذلك إلى تعزيز نفوذ بريطانيا في العراق، بل حتّى السّيطرة عليه باحتلاله؛ ليتمكّنوا من التصديّ للروس، وكان من المتحمّسين لهذا الأمر (تايلر)، واستطاعوا أن يتمكّنوا من عرقلة النشاط الروسيّ في العراق<sup>(١٨)</sup>.

أسهم الدبلوماسيون البريطانيون في دعم تلك المصالح التجاريّة البريطانيّة في العراق عن طريق تذليل الصّعوبات التي تعترضها، ليتمكّنوا من متابعة نشاط الشركات البريطانيّة العاملة في العراق، فمهمّتها حماية الحكومة، ولاسيّما شركة (لينج)، فما هذه الشركة إلّا إحدى دعائم النفوذ البريطانيّ في العراق، ومهمّتها حماية الحكومة البريطانيّة في مواجهة الخلافات بينها وبين السّطات المحليّة العثمانيّة في العراق، فلم يكتفِ البريطانيون بمواصلة النشاط التجاريّ، وإنّما تعدّى ذلك إلى تشجيع الملاحة البريطانيّة في أنهار العراق، وهذا ما لاحظناه

في بعثة (جسني)، واستعدادها لمسح نهر الفرات<sup>(١٩)</sup>؛ لمعرفة مدى صلاحيته للملاحة<sup>(٢٠)</sup>. ويُعدُّ فتح قناة السويس عام (١٨٦٩) عاملاً مهماً لتطور تجارة العراق الخارجية؛ لأنَّ فتحها ساعد على ربط العراق بأسواق عالمية، ما أدى إلى اتساع تجارة التصدير العراقية إلى أوروبا الصناعية بصورة عامّة، وبريطانيا بصورة خاصّة<sup>(٢١)</sup>.

بقيت هيمنة بريطانيا مسيطرة على تجارة العراق حتّى احتلالها له عام (١٩١٤م)، بحيث كان لهذه الشركات دور كبير في تحقيق الهيمنة البريطانية على تجارة العراق الخارجية، وهذا ما نلمسه من تتبّع نشاط شركة (لينج)، التي نشطت منذ القرن التاسع عشر، ناهيك عن بعض الشركات التي كان لها دور -أيضاً- في زيارة الهيمنة البريطانية في العراق، التي لم يكن هدفها النشاط التجاري فقط، وإنما هذا الهدف تحوّل من تجاريّ إلى تغلغل استعماريّ خطير، ونذكر بعض هذه الشركات، وهي: شركة (كري مكنزي)، التي أُسّست في البصرة عام (١٨٤٠م)، ومارست تجارة تصدير الحبوب والتمور واستيراد البضائع، وشركة (أصفر)، ومهمّتها استيراد البضائع من الهند إلى البصرة، وشركة (سيمون) (Simon) أُسّست عام (١٨٦٩) في البصرة<sup>(٢٢)</sup>، وشركة أندروير، أُسّست في البصرة عام (١٩٠٥)، ونشطت في شؤون الملاحة<sup>(٢٣)</sup>. وفي مطلع القرن العشرين زادت أهميّة العراق الاستراتيجية؛ لاكتشاف النفط في عبادان، وهو كان سبب لاحتلال البصرة عام (١٩١٤)<sup>(٢٤)</sup>، وقد نبّه جون فيشر (John Fisher) الذي أصبح قائد القوّة البحرية البريطانية بين عامي (١٩٠٢-١٩١١)، وانتبهت الحكومة البريطانية، إلى أهميّة النفط في العراق، فبريطانيا عندما شعرت بخطر الروس يهدّد مصالحها

في العراق سعت للتخلص منه، فكيف الحال إذا شعرت أن هناك خطراً ألمانياً يهدد تلك المصالح؟! فعملت جاهدة للدخول بمفاوضات مع ألمانيا؛ لتجنّب الحرب معها؛ ولتضمن استمرار سيطرتها في العراق<sup>(٢٥)</sup>، وكانت من بين أنشطة ألمانيا إنشاء سكة حديد (بغداد - برلين)، فضلاً عن أنشطة أخرى، كإرسال البعثات الأثرية إلى العراق، ومهمتها البحث عن الآثار، فكان للألمان قنصل في الموصل عُيّن عام (١٩٠٦) (٢٦)، والجدير بالملاحظة أن العراق يملك آبار نפט غزيرة أشار إليها الجيولوجيون منذ منتصف القرن التاسع عشر، وهذا ما جعله خيار بريطانيا للاستيلاء على نفطه؛ لتغذية أسطولهم في المحيط الهندي والبحر المتوسط<sup>(٢٧)</sup>.

## المبحث الثاني

### الزعامة السياسيّة في البصرة والعلاقة العثمانيّة البريطانيّة

كان السيّد طالب النقيب<sup>(٢٨)</sup> قبيل الحرب أقوى شخصيّة في منطقة البصرة، وكان -هو- والشيخ خزعل<sup>(٢٩)</sup> والشيخ مبارك على صلة بالإنكليز، ويعملون على نشر الحركة القوميّة في العراق، وعند دخول الدّولة العثمانيّة الحرب كان الإنكليز يأملون من السيّد طالب أن يقف إلى جانبهم على نحو ما فعل صاحبه، ولكن أملهم هذا خاب<sup>(٣٠)</sup>.

كان بولارد (Bollard) يتولّى القنصليّة البريطانيّة في البصرة قبل الحرب، وحين دخلت الدّولة العثمانيّة الحرب غادر هذا الرّجل البصرة، واتّخذ مقرّه في المحمّرة؛ إذ نزل في دار الحاجّ ريس، ثمّ أرسل سرّاً إلى السيّد طالب النقيب يدعوه إلى مقابلته في المحمّرة، وقد استجاب الأخير لدعوته، فركب زورقاً بخاريّاً أوصله إلى مقرّ الشيخ خزعل في المحمّرة، ومن هناك ذهب بصحبة خزعل لمقابلة القنصل البريطانيّ بولارد<sup>(٣١)</sup>، وقدّم الأخير مقترحات حكومته، وتضمّنت ما يأتي<sup>(٣٢)</sup>:

١- يقدّم السيّد طالب النقيب للحلفاء جميع المساعدات الفعليّة لاحتلال البصرة.

٢- يتعهّد الإنكليز بتنفيذ وعودهم المتمثّلة بتنصيب السيّد طالب النقيب

- حاكماً عاماً لولاية البصرة، ولوائى الناصرية والعمارة.
- ٣- جعل اللغة العربية لغة رسمية في الدوائر الحكومية، وتعيين موظفين عراقيين في جميع مناصب القضاء.
- ٤- إعفاء أملاك السيد طالب النقيب وأملاك أسرته من الرسوم الأميرية. إن هذه المقترحات - وفي ضوء وجهة النظر بشخصية طالب النقيب - تحتم استجابة سريعة وإيجابية لها، إلا أن الواقع عكس ذلك تماماً، فقد طلب النقيب مهلة لدراسة هذه المبررات بصورة جيدة، في ضوء هذه المهلة قدم مقترحات جديدة للقنصل البريطاني مثلت الرد على العروض السابقة، وتضمنت ما يأتي (٣٣):
- ١- إن البلاد العربية ترغب في التخلص من نير الاستعمار العثماني؛ لذلك فهو مستعد لإعلان الثورة ضد الترك مستعيناً بالضباط والجنود العرب والعشائر العراقية، بدون تدخل الجيش البريطاني.
- ٢- على الإنكليز أن يمدّوه بالسلاح والطائرات والفنيين.
- ٣- أن تبقى البواخر والقطاعات البحرية والإنكليزية في الخليج خارج مياه شط العرب.
- ٤- إذا تم إخراج الترك، تؤسس دولة مستقلة دستورية تحت حماية الإنكليز، ملكية أو جمهورية، حسب رغبة الشعب.
- ٥- إن النفقات التي يتكبدها الإنكليز في مساندة الثورة تُعدّ قرضاً على البلاد، ويسددها على شكل أقساط من الميزانية، وتنتهي الحماية بتسديده، وتبقى الامتيازات الاقتصادية وحدها نافذة.

٦- أن تصبح هذه الشروط أساساً لمعاهدة دولية يوقع عليها مندوب رسمي عن الحكومة البريطانية.

لم تلق هذه المقترحات القبول من قبل الحكومة البريطانية، بل رفضتها، وأصرّت على ضرورة السير بالمقترحات التي عرضها القنصل البريطاني، ومن خلال المقارنة بين المقترحات يتأكد أن طالباً النقيب فضل المقترحات التي تخدم العراق على تلك التي تخدّمه شخصياً<sup>(٣٤)</sup>.

هذه الأفكار وردت عند سليمان فيضي، إلا أنها لا تتطابق مع ما ورد في مصادر أخرى، التي تؤكد أن طالباً النقيب قدّم طلباً للاعتراف به بوصفه شيخاً، أو أميراً للبصرة، تحت الحماية البريطانية، براتب شهري قدره ألفي جنيه إسترليني، محسوماً من الواردات المحليّة للمنطقة المحتلة. إزاء ذلك، بعث طالب النقيب رسالة أوضح فيها موقفه من إصرار بريطانيا، أكد فيها أنه لا يوافق على ذلك، وسيعضد العثمانيين مهما كلف الأمر. إن هذا الموقف جعل بريطانيا تقنع بأن طالباً النقيب وضع نفسه في حقل أعداء بريطانيا، وسيساند العثمانيين حسب ما جاء في رسالته. أصبح طالب النقيب بين فكّي كهاشة الإنكليز والعثمانيين. واجتمع كلٌّ من: طالب النقيب، وأحمد باشا الصانع، وعبد اللطيف المنديل، وسليمان فيضي، وقرروا أن يغادر طالب النقيب وسليمان فيضي البصرة إلى مكان آخر؛ تحلّصاً من الكهاشة<sup>(٣٥)</sup>.

وعلى الرُغم من ذلك، لم ينقطع أمل الإنكليز في كسب طالب النقيب إلى صقّهم، وذلك عن طريق إجراء تعديلات طفيفة على مقترحاتهم السابقة، وحملها إلى البصرة الحاجّ مصطفى النوري، معتمد الشيخ خزعل، وتضمّنت ما

يأتي<sup>(٣٦)</sup>:

[يلتزم السيّد طالب النقيب جانب الحياد في أثناء الحرب، مقابل ذلك وعد الإنكليز بجعله حاكماً مدى الحياة على العراق من الفاو إلى آخر نقطه يصل إليها الاحتلال، ويبدو أنّ الإنكليز كانوا يعتقدون أنّ طالباً النقيب يلهث وراء الجاه والمال، فمن الطبيعي أنّ يكون جوابه إيجابياً، إلا أنّ واقع جوابه عكس ذلك، وحمله الشخص ذاته الذي جاء بالرّسالة: (... إني أرفض كلّ مقترح من هذا القبيل، وقد عزمْتُ على السّفر إلى نجد، فابحثوا عن مَنْ يُعينكم على استعمار بلاده، واعلموا أنّ الذي لا يرضى بحكم العثمانيين إخوانه في الدّين حريٌّ به أن يأبى حكم الإنكليز)]<sup>(٣٧)</sup>.

إنّ وجهة نظر الإنكليز أثبتت صحّتها فيما بعد، عندما جرت عمليّة اختيار ملك على العراق، وأنّه يرفض أن يكون الملك أحد أبناء الشّريف حسين، وقام بجولات لكسب الأتباع والمؤيدين في أنحاء العراق، ولكنّه فشل في ذلك<sup>(٣٨)</sup>، وأكّدت (المس بيل) هذه الفكرة، بأنّ طالباً النقيب سيطر على مدينة البصرة سنين مريرة، وتحديّ السّلطة العثمانيّة، وتعهد للإنكليز للقيام بثورة عربيّة لقاء اعترافنا به أميراً للمنطقة<sup>(٣٩)</sup>.

اعتقد طالب النقيب أنّ بقاءه في البصرة أضحى خطراً على حياته من قبل السّلطات العثمانيّة والبريطانيّة، فقرّر السّفر إلى الكويت، ورافقه سليمان فيضي وعبد الوهاب المنديل والشّيخ أحمد الإبراهيم وعبد الكريم الدّخيل، واستقبل الوفد من قبل شيخها، ويبدو أنّ العلاقة الجيدة بين شيخ الكويت وبريطانيا شجّع الأخيرة أن تكرّر اللّقاء مع طالب النقيب عن طريق القنصل البريطانيّ

في الكويت (الكرنك كري)، وتحقق اللقاء، وحضره الشيخ مبارك الصباح، وعرض القنصل البريطاني المقترحات السابقة ذاتها، وكرّر النقيب الرّفص ذاته<sup>(٤٠)</sup>.

لقد تيّقن القنصل البريطانيّ عدم إمكان إقناع طالب النقيب بالطروحات التي عرضها في اللقاءات السابقة؛ لذلك دُعي الأخير إلى مقرّ القنصلية البريطانيّة في الكويت، وفي اللقاء أوضح القنصل التعليقات الصّادرة من حكومته بحق طالب النقيب، التي تنصّ على نقل طالب النقيب إلى باخرة راسية قرب الفاو، التي يقيم فيها (برسي كوكس)<sup>(٤١)</sup>، ويبقى هناك حتّى احتلال البصرة، بعد ذلك يدخل طالب النقيب بوصفه حاكماً سياسياً، والسّير (برسي كوكس) يصبح ممثلاً للحكومة البريطانيّة. استقبل طالب النقيب هذه الفكرة بالمعارضة، بل رفضها وعدّها وصمة شنيعة، إلّا أنّ الحكومة البريطانيّة أكّدت أنّه في حالة رفض هذه الفكرة لا بدّ من توجيه الشيخ مبارك الصباح لكي يستثمر علاقته الجيدة معه لتنفيذ المشروع البريطانيّ، وتمّ اللقاء بين الطرفين، وعرض الشيخ مبارك الصباح الفكرة على طالب النقيب، وكانت النتيجة مشادّة كلاميّة بين الطرفين أنّها الشيخ مبارك بأنّ التعليقات الواردة إليه من الإدارة البريطانيّة تؤكّد منع طالب النقيب من السّفرة، وأوضح هذه الفكرة سليمان فيضي، بقوله: «إنّه مضطّر لتلبيه الإنكليز، ولا يستطيع مخالفة أوامرهم». إنّ الأزمة انتهت بالتوصّل إلى حلّ وسط عن طريق الانسحاب من الكويت خلسة، بحيث لا يؤثّر ذلك في العلاقات (الكويتيّة-البريطانيّة)<sup>(٤٢)</sup>.

توجّه طالب النقيب بعد هذه الأزمة إلى منطقة بريدة، والتقى فيها عبد العزيز

آل سعود، في تشرين الثاني عام (١٩١٤)، وفي اللقاء أكد النقيب في كلمته أن الإنكليز هاجموا البصرة بلد إخوانكم في الدين قاصدين احتلالها وفرض الرق والعبودية، وفي الأخير طلب المساعدة باسم النخوة العربيّة، وكان ردّ الفعل السريع لعبد العزيز آل سعود، قوله: لبيك، وهذا يعني أن قوّات عبد العزيز آل سعود لم تكن جادّة؛ لأنّه يخشى احتلال مرافئه من قبل الإنكليز، ووقع هنا بين الاستجابة لنداء النخوة العربيّة، وبين زوال نفوره من قبل الإنكليز إن وقف أمامهم؛ لذلك بعث رسالة إلى الشريف حسين أمير مكّة كتبها له سليمان فيضي أوضح فيها عرّوض طالب النقيب للمساعدة ومساندة العثمانيين، إلّا إن الجواب لم يصل، ما دفعه للكتابة مرّة ثانية طالباً الإرشادات في هذا الظرف الدقيق، وبعكسه سيتوجّه إلى العراق لدعم طالب النقيب<sup>(٤٣)</sup>.

عقد عبد العزيز آل سعود اجتماعاً حضره طالب النقيب وسليمان فيضي وعبد الوهاب المنديل، وأبلغهم بنيته خروج جيشه إلى العراق يوم (٢٨ تشرين الثاني عام ١٩١٤)، إلّا أنّ طالباً النقيب كان يشكّ في اندفاع عبد العزيز آل سعود، وقد صدق توقّعه عندما وصلت الرسائل تؤكّد دخول الإنكليز البصرة، وأطلع عبد العزيز آل سعود ضيوفه على الرّسالة موضّحاً لهم عدم جدوى العمل المخطّط للتنفيذ<sup>(٤٤)</sup>.

إنّ هذه التطوّرات جعلت النقيب في موقفٍ صعبٍ جدّاً، وفي ضوء المناقشات التي تمّت استقرّ الموقف على أن يستسلم السيّد طالب النقيب للإنكليز، ولكن بشرط أن يسمحوا له بالذهاب إلى بومبي؛ وبسبب التطوّرات المذكورة كتب عبد العزيز آل سعود رسالة إلى برسي كوكس حملها سليمان فيضي

تُفيد أنّ لديه اتصالات مع الحكومة البريطانية قبل الحرب منذ أيام اللورد كيتشنر (Lord Kitchener) حينما كان في مصر، وتؤكد كذلك أنّه في خدمة الحكومة البريطانية<sup>(٤٥)</sup>، أمّا جواب برسي كوكس على هذه الرّسائل، فقد أكّد فيها أنّه سيلقى من السّطات المسؤولة في بومبي غاية الإكرام؛ وسُلمت جوازات سفر للسّيّد طالب النقيب ولوليّه وبعض خدمه، وتمّت مغادرته يوم (٩ كانون الثاني عام ١٩١٥)، ومن بومبي سعى طالب النقيب لعرض خدماته عندما قدّم التماس إلى نائب الملك في الهند بإبداء اعتذاره عن موقفه اللّا تعاوني خلال الأيّام الأولى للحرب، وهو مستعدّ -الآن- تماماً لوضع نفسه تحت تصرّف الحكومة البريطانية ومساعدتها بكلّ إمكانياته، وهو يُعدّ نفسه حليفاً وليس صديقاً لبريطانيا. إنّ كلّ محاولات طالب النقيب لم تُجدِ نفعاً، ولم يعد من منفاه إلّا في (٢٨ شباط عام ١٩٢٠)<sup>(٤٦)</sup>.

## المبحث الثالث

### احتلال بريطانيا ولاية البصرة

عدت بريطانيا العراق مجالاً مغلقاً لصالحها، تراقب وباستمرار ما يجري في ساحته، وقد وضعت نصب عينها إمكان أيلولته لها يوماً ما، وهذا ما جعل مسؤولاً كبيراً في وزارة الخارجية البريطانية يقول عام (١٩١٣): «إذا أصبح تقسيم الأملاك العثمانية في آسيا أمراً وارداً، فإن ما بين النهرين هو الجزء الذي يجب أن نركز أنظارنا عليه». وهذا يعني أن فكرة الغزو العسكري لولاية البصرة كانت تدور في أذهان بعض السياسيين البريطانيين قبل سنوات من نشوب الحرب العالمية الأولى، والدليل على ذلك أنه في أثناء أزمة العقبة بين بريطانيا والدولة العثمانية عام (١٩٠٦) طرحت فكرة احتلال البصرة للضغط على الدولة العثمانية، غير أنها أُجّلت عدّة مرّات، حتى اندلاع نيران الحرب العالمية الأولى، فصدر قرار السلطات المختصة البريطانية بالاستعداد لإرسال الحملة العسكرية باتجاه البصرة عن طريق البحرين<sup>(٤٧)</sup>.

ففي (٦ تشرين الثاني عام ١٩١٤) نزلت إلى البرّ في مصبّ شطّ العرب القوّة البريطانيّة الهنديّة التي كانت محتشدة في البحرين، ومتأهّبة للعمل بقيادة الجنرال ديلامين، فاستولت على قلعة الفاو بحماية قصف المدفعية البحريّة<sup>(٤٨)</sup>. وفي يوم (٧ تشرين الثاني)، ركبت القوّات البريطانيّة البواخر بعد أن تركت سرية في

الفاو، وتقدّمت شمالاً إلى موقع السّنيّة؛ إذ قرّر الجنرال ديلا مين النزول في هذه المنطقة، واستمرّت عمليّة الإنزال إلى يوم (١٠ تشرين الثاني). وفي خضم تلك الأحداث، لم تكن القيادة العثمانيّة على علمٍ بسقوط الفاو إلّا في وقتٍ متأخّر؛ نظراً إلى انقطاع الاتصال، وعند ورود المعلومات بذلك أوفد العثمانيّون الفرقة (٣٨) المؤلّفة من (٣) أفواج وبطريّة لمهاجمة البريطانيّين، وقد علم البريطانيّون بهذه الحركة بوساطة شيخ المحمّرة (شيخ خزعل)، فاستعدّوا لها، وصدّوا الهجوم ليلة (١٠-١١) تشرين الثاني بخسائر طفيفة للطرفين، وانتهت بذلك (معركة السّنيّة)، وانسحب العثمانيّون شمالاً، وقد قرّر الجنرال (ديلا مين) الانتظار في محله لوصول التقويات، وقد وصل الجنرال (آرثر باريت)، مع اللّواء (١٨)، ولواء مدفعيّة الصّحراء إلى السّنيّة يوم (١٤ تشرين الثاني)، وشرعت القوّة بالإنزال في اليوم نفسه. وفي اليوم ذاته استلم الجنرال باريت برقيّة من الهند بتعيين ولاية البصرة هدفاً لقوّاته، وكانت القوّات العثمانيّة خلال هذه المدّة تحتشد في سيحان على بعد (٤) أميال من المعسكر البريطانيّ. وفي يوم (١٥) تشرين الثاني تحرك الجنرال ديلا مين مع قوّة تقدّر بثلاثة أفواج مشاة ولواء مدفعيّة لإنزال ضربة بالمعسكر العثمانيّ، وتمّ له ذلك فعلاً، وانسحب العثمانيّون بعد خسائر كبيرة، وعادت القوّة البريطانيّة إلى معسكرها، وعُرفت المعركة باسم (معركة سيحان)، وكانت القوّة العثمانيّة المشتبكة في المعركة حدود (٢٠٠٠) جنديّ، و(٨) مدافع، وفي اليوم التالي (١٦ تشرين الثاني)، قرّر الجنرال باريت الحركة شمالاً إلى مسافة (٨) أميال للمعسكر مقابل المحمّرة على الضّفة اليمنى بالنظر إلى قلق الشّيخ خزعل من الهجوم عليه<sup>(٤٩)</sup>.

وفي يوم (١٧ تشرين الثاني)، شرع الجنرال باريت بالتقدّم شمالاً، وحصلت المقدمة على التماس بالعثمانيين في موقع (ساحل) في منطقة كوت الزين، فانفتح اللّواءان (١٦) في اليمين، و(١٨) في اليسار، وكانت البحريّة تقوم بإسناد مؤثّر بمدافعها من النّهر، أمّا القوّات العثمانيّة، فقد بلغت (٤) أفواج [١٥٠٠) بندقية، (٨) مدافع، (١٠٠٠) متطوّع]. ونتيجة للضغط البريطانيّ، اضطرّ العثمانيّون للانسحاب شمالاً<sup>(٥٠)</sup>، وعسكرت القوّة البريطانيّة في موقع (ساحل) مقابل مصبّ الكارون في شطّ العرب. وبذا تأمّنت حماية المحمّرة، والتحقّت السّفن الموجودة في نهر الكارون بالحملة البريطانيّة، وتمّ تأمين الاتصال بالمحمّرة، وعُرفت هذه المعركة باسم (معركة السّاحل) في المصادر العثمانيّة، ومعركة (كوت الزّين) في المصادر البريطانيّة<sup>(٥١)</sup>.

قامت القيادة العثمانيّة بسدّ شطّ العرب، وذلك بإغراق بعض السّفن، ووضع حاميات ومدافع في جزيرة (البلجانيّة) وغيرها من الجزر؛ لإيقاف البواخر البريطانيّة، إلّا إنّ تضعضع معنويات الحاميات العثمانيّة نتيجة قتالاتها الفاشلة، ورداءة الموقف العسكريّ، أدّى إلى قرار الجلاء عن البصرة ليلة (١٩-٢٠ تشرين الثاني). وشرع يوم (٢٠) بانسحاب القسم الأكبر نحو القرنة، وبجزء يبلغ حدود فوج باتجاه الخميسية والنّاصرية، وفي يوم (٢٠) علم البريطانيّون عن طريق الشّيخ خزعل بانسحاب العثمانيين من البصرة، فتقدّمت السّفن، واجتازت الحاجز بسهولة، ووصلت البصرة يوم (٢١ تشرين الثاني)، ودخل القسم الأكبر من القوّات البريطانيّة البصرة بصورة رسميّة بعد مسير (٢٨) ميلاً<sup>(٥٢)</sup> من السّاحل إلى البصرة يوم (٢٢ تشرين الثاني عام ١٩١٤)<sup>(٥٣)</sup>. وفي

ذلك أصدر السير برسي كوكس باسم القائد العام بياناً، يقول: «... ولم يبق من الإدارة العثمانية شيء الآن في هذه المنطقة، فقد رفع في محلها العلم البريطاني، الذي سوف تتمتعون في ظلّه بمنافع الحرّية والعدالة بالنسبة لشؤونكم الدينيّة والديويّة معاً. وأصدرت الأوامر المشدّدة لجنودي المظفّرة بأن يعاملوا السكّان بوجه عامّ وبصداقة وتقدير تامّين عند قيامهم بالواجبات الملقاة على عاتقهم، وعليكم أنتم أن تعاملوهم بالمعاملة نفسها»<sup>(٥٤)</sup>.

#### التقدّم نحو القرنة واحتلالها

بعد أن تمّ للبريطانيّين احتلال البصرة، أرسل الجنرال باريت تقريراً إلى الهند في (٢٩ تشرين الثاني) أوضح فيه أنّه يرغب في ترصين الموقف في البصرة بالتقدّم نحو القرنة، وتأسيس موقع مستحکم فيها لحماية البصرة من الشّمال، واقترح تأسيس موقع مستحکم آخر غرب البصرة في موقع الشّعبية (٥) أميال شمال الزّبير لحماية البصرة من الغرب. وفي يوم (٣ كانون الأوّل عام ١٩١٤)، تلقّى الجنرال باريت قراراً بالموافقة على التقدّم لاحتلال القرنة<sup>(٥٥)</sup>، وكانت مبرراته لهذا التقدّم:

- أ- أهميّة موقع القرنة عسكرياً بوصفها ملتقى دجلة والفرات.
  - ب- السيطرة على جميع مجرى شطّ العرب المساعد على سير السفن الكبيرة.
  - ج- السيطرة على منطقة زراعية غنيّة.
  - د- التأثير المعنويّ على القبائل<sup>(٥٦)</sup>.
- كانت القوّات العثمانية في القرنة مؤلّفة من (٨٠٠) جنديّ، وقد حكمت

مواقعها في جنوب وغرب المدينة، ولها قوّة احتياطية بموقع (صخيريجه) (١٤) ميلاً شمال القرنة، مؤلّفة من (٢٥٠٠) جنديّ، و(٦) مدافع، وكانت هناك قوّة أخرى في موقع (مزيرعة) على الضّفة اليسرى من نهر دجلة، مؤلّفة من (٤٠٠) جنديّ، وفي يوم (٣ كانون الأوّل)، أوقد الجنرال باريت قوّة مؤلّفة من فوجين هنديّين مع سفن حربيّة (أودن، سبيكل، الورنس، اويس بلي، وماينرز)، ونزلت هذه القوّة يوم (٤ كانون الأوّل) على الضّفة اليسرى من نهر دجلة شمال السّويب جنوب المزيرعة، وقد هاجمت هذه القوّة موضع المزيرعة العثمانيّ، وطردت حاميته، وكبّدتها خسائر فادحة، ولما تحقّق قائدها من عدم تمكّنه من مهاجمة القرنة انسحب إلى معسكره في السّويب، وعاد العثمانيّون إلى المزيرعة<sup>(٥٧)</sup>.

عزّز الجنرال باريت القوّات البريطانيّة، وأوقد الجنرال فراي لقيادتها، وهاجمت هذه القوّة موقع المزيرعة العثمانيّ ثانية يوم (٧ كانون الأوّل)، وطهرت الضّفة اليسرى من العثمانيّين، وفي صباح (٨ كانون الأوّل)، استمرّ الاستطلاع للعثور على محلّ صالح للعبور، وكان عرض نهر دجلة في حينه (١٣٠) يرداً، وقد تمكّنت القوّات البريطانيّة بالإفادة من المهيلات، وغفلة العثمانيّين، من تمرير فوجين، ونصب جسر طيار يوم (٨ كانون الأوّل)، وذلك بخسائر قليلة لا تتجاوز (٢٣) شخصاً، معظمهم جرحى، وبانت القوّة على الضّفة اليمنى، وفي ليلة (٨-٩) عرض العثمانيّون التسليم، وتمّ ذلك فعلاً، ففي يوم (٩) استسلمت الحامية العثمانيّة بدون قتال، وكانت مؤلّفة من (٤٥) ضابطاً، و(٩٨٩) مراتب، و(٤) مدافع؛ وعلى أثر ذلك، انسحبت قوّة (صخيريجه) إلى شطرة العمارة، وبتسليم القرنة قرّر الجنرال باريت تحصينها ووضع حامية بها، مؤلّفة من: سريتي

خيالة، وبطريّتي مدفعية، وسريّة هندسة، ولواء مشاة، وخدمات ملحقة<sup>(٥٨)</sup>.

### معركة الشُعبية

أعدت الحكومة العثمانية تأسيس التماس مع البريطانيين على قناة الروطة<sup>(٥٩)</sup>، بعد سقوط القرنة، وقد أثر سقوطها تأثيراً كبيراً على المقر العام العثماني؛ إذ تمّ تعيين العقيد سليمان العسكري لمنصب القيادة العامة في العراق، وكان ضابطاً جريئاً، ولكنّه قليل الخبرة، وكثير الثقة بالعشائر<sup>(٦٠)</sup>، ووَزَعَت القيادة العسكرية العثمانية القوّات النظامية والعشائرية إلى جهات، هي: جبهة الشُعبية، جبهة القرنة، وجبهة الأحواز. وكانت أولى المعارك التي نشبت بين الطرفين عندما قام الجيش البريطاني بمحاولة اختراق الروطة على نهر دجلة شمال القرنة، ولكنّ القوات العثمانية والعشائر تصدّت لها، وأجبرتها على الانسحاب، واحتلّت العشائر مواقعها، وكانت معركة الكرخة ثاني المعارك في الأحواز، التي كان أميرها الشيخ خزعل متردداً في موقفه...<sup>(٦١)</sup>. وخلال المناوشات في الروطة جرح العقيد سليمان العسكري في (٢٠ كانون الثاني عام ١٩١٥)، وأُخلي إلى بغداد، فأوفدت القيادة العثمانية العامة العقيد (كاظم قره بكر) لقيادة جبهة العراق وكالة، ولكنه لم يوافق على الخطة التي أعدّها سليمان العسكري، واقترح خطة بديلة لها، طالبت بزيادة عدد الجنود النظاميين، إلاّ إنّ المقر العام أيد خطة سليمان العسكري، الذي كان قد قرّر أن يُدير الحركات العسكرية بنفسه، على الرُغم من عدم شفائه التام<sup>(٦٢)</sup>.

كانت خطة القائد سليمان العسكري، تركّز على الجناح الأيمن الزاحف

باتجاه الشَّعبية، ومنها إلى البصرة؛ ولذلك حشد القسم الأكبر من قوَّات العشائر المتطوِّعة في منطقة النَّاصرية (مركز محافظة ذي قار) حالياً، الذين بلغت أعدادهم (١٢٠٠٠) ألف مقاتل عربيٍّ من عشائر الفرات الأوسط والجنوب، و(٢٠٠٠) مقاتل كرديٍّ وتركمانيٍّ، علماً أنَّ أعداد المتطوِّعين للجهاد في تلك المعركة كانت في تزايد مستمرٍّ حتَّى بلغت الأعداد النهائيَّة بين (٢٠-٣٠) ألف مجاهر متطوِّع وفقاً للمصادر العثمانيَّة<sup>(٦٣)</sup>.

اختارت القيادة العثمانيَّة موقعها بين أدغال منطقة البرجسيَّة على بُعد عدَّة كيلو مترات من جنوب شرقي الشَّعبية، وكانت قوَّات الجيش العشائريِّ تتألَّف من مختلف عشائر العراق، مثل: عشائر (الدِّيوانية، والناصرية، والسَّماوة، وآل فتلة من المشخاب، وآل شبل، والخزعل، وبني حجيم، والظوالم، وآل أزيرج)، أمَّا المتطوِّعون المجاهدون من الأكراد والترَّكمان، فقد كان معظمهم من عشائر الجلف والهماند، وقد كان من ضمن الأعراف المتَّبعة -آنذاك- أنَّ يرافق كلَّ عشيرة أحد الشَّخصيَّات البارزة من السَّادة الحسينيَّة<sup>(٦٤)</sup>، واعتمد القائد سليمان العسكريِّ في قيادة تلك العشائر على الشَّخصيَّات الدينيَّة والوطنيَّة ذات التأثير الشعبيِّ من مجتهدين أو نواب أو شيوخ عشائر، مثل: ضياء الدِّين بك ناب أزميت)، ومن رجال الدِّين -مثلاً- (المجتهد السيِّد عبد الرزاق الحلو<sup>(٦٥)</sup>، والسيِّد محمَّد سعيد الحبوبي<sup>(٦٦)</sup>)، ومن شيوخ العشائر (عجمي باشا السَّعدون)، ومن شيوخ العشائر الأكراد والترَّكمان (عبد الله صافي بك اليعقوبيِّ نائب كركوك<sup>(٦٧)</sup>)، وغيرهم من رجال الدِّين. كان الحبوبيُّ والحلو مجتهدين من النجف، وعمل الحبوبيُّ لصالح السيِّد كاظم اليزديِّ مباشرة<sup>(٦٨)</sup>، وأصبحا من

قادة القوّات في المعركة ذاتها، فقد قاد الحلو (٤٠٠) من المتطوّعين العرب، في حين قاد الحَبّويّ المجاهدين إلى جانب الشيوخ (خيّون العبيد، وعبد الله الفالح السعدون) إلى جناح الجبهة اليسرى للجيش العثماني<sup>(٦٩)</sup>. أمّا دور الأكراد، فكان مهمّاً -أيضاً- في معركة الشّعبية، فمثلاً جلب أحمد بن كاكا (٣٠٠٠) من المجاهدين، وهو نفسه جُرح في المعركة<sup>(٧٠)</sup>.

فضلاً عن القوّة العثمانيّة الكبيرة، فقد واجه البريطانيّون بيئة أكثر صعوبة من البيئة التي واجهها في الحملات العربيّة والعسكريّة السابقة، بعد الحرب العالميّة الأولى، فقد مكّن انتشار سلاح الجوّ الملكيّ البريطانيّ من السيطرة على سماء العراق بسهولة؛ إذ لم تكن موجودة طائرات عسكريّة في العراق عام (١٩١٥)، ومنع السّراب محاولات تقدير المسافات بين المواقع البريطانيّة والعثمانيّة، يضاف إلى ذلك انتشار الحرارة الشّديدة والذّباب الذي رافق كلاً من الضبّاط والجنود، وطبيعة الأرض زادت الطّين بلّة؛ إذ في نيسان كان موسم الفيضانات، ونتيجة لذلك انقطعت القوّات البريطانيّة عن القاعدة في البصرة وفقاً لنون، فالأرض بين البصرة والشّعبية غطّتها المياه بين (١) قدم إلى (٤) أقدام؛ وبسبب ذلك لا تتمكّن القوّات البريطانيّة أن تتجاوزها إلّا بالزّوارق الصّغيرة التي يسمّيها السّكّان (بلم)، وفوق ذلك كلّها، منعت ضحالة المياه البحريّة البريطانيّة من التقرّب إلى الشّعبية لغرض توفير إسناد المدفعية البحريّة، وتلك البيئة جعلت القوّات البريطانيّة عرضة للخطر الشّديد، ومع ذلك فشلت القيادة العثمانيّة في انتهاز الفرصة التي أتاحتها لهم البيئة<sup>(٧١)</sup>.

كان هناك اختلافات واضحة في الروى منذ البداية في معركة الشّعبية بين

القائد العسكريّ العثمانيّ سليمان العسكريّ، وبين حلفائه من قادة العشائر العراقية، فقد نصح القادة العراقيين والألمان القائد العسكريّ بحصر القوّات البريطانيّة في الشّعبية، واستغلال فيضانات المنطقة التي جعلت صلتهم بالبصرة ضعيفة، واستخدام المتطوّعين للتحرّش بالقوّات البريطانيّة، وكان ذلك منهجاً صالحاً تستخدمه القوّات العربيّة في مباغته القوّات النظاميّة، خصوصاً أنّ تلك القوّات اعتادت هذا الأسلوب في الغزوات أكثر من المعارك التقليديّة، لكنّ القائد سليمان تجاهل تلك النصيحة، وأعلن هجوم القوّات العثمانيّة النظاميّة الأماميّة على القوّات البريطانيّة مباشرة، ما جعله هدفاً لقوّات المدفعية البريطانيّة بشكلٍ كاملٍ، وأصبحت المواقع البريطانيّة في الموقف الممتاز لتدافع ضدّ الهجوم العسكريّ؛ بسبب نجاح شبكات جواسيسهم في اكتشاف القوّات العثمانيّة المتقدّمة، ما سمح للبريطانيّين بتقوية دفاعهم قبل وصول العثمانيّين إليها، لاسيّما أنّ المدفعية البريطانيّة كانت قوّة حاسمة في ذلك الموقف، فقد استطاعت تلك القوّة إسكات المدفعية العثمانيّة خلال (١٥) دقيقة فقط من بدأ الهجوم العثمانيّ ليلة (١١-١٢) نيسان، ولم يتمكّن العثمانيّون من التقدّم سوى (١٠٠٠) ياردة، ووجدت الهجوم ليلة (١٢-١٣) بدون نتيجة<sup>(٧٢)</sup>.

وفي الصّباح الباكر من يوم (١٣ نيسان)، وصل إلى الشّعبية مؤخراً الجنرال (ميلز) (Meals)، الذي بادر بهجوم سلاح الفرسان، تسنده المدفعية، ضدّ المواقع العسكريّة العثمانيّة في التلّ الشّالي، على الرّغم من أنّ المواقع العثمانيّة كانت قويّة جدّاً، وكان بإمكانهم صدّ هجوم الجند، ولكنّ سلاح الفرسان عانى من إصابات كثيرة، بما في ذلك القائد البريطانيّ (المجور ويلر) (Wheeler) مع ضابط هنديّ،

وغيرهم. ومع أن الهجوم اللاحق الذي قاده الجنرال (ديلامين) (Delamain) حظي بالمزيد من النجاح، فقد هجمت ثلاث كتائب من المشاة مسندة بالمدفعية، وتم طرد القوات العثمانية من التل الشمالي، ولذلك عدّ البريطانيون درجة الانتصار كبيرة، وبلغ قتلى العثمانيين وفقاً للمصادر البريطانية (١,٠٠٠) من العثمانيين والمتطوعين، وقبضوا على (١٢٠٠) أسير، ومدفعين وعلم<sup>(٧٣)</sup>.  
قرر اللواء ميلز في الصباح أن يستمر في التقدم حتى وإن كان السراب المستمر يُعيق جهود الاستطلاع وتحديد مركز القوات العثمانية، مع ذلك، ففي الساعة الحادية عشرة تقريباً استنتج البريطانيون أن القوات العثمانية كانت موجودة في خنادق على طول ثلاثة أميال بين برج المراقبة وشمال غابة البرجسية، وعلى الرغم من أن المدفعية البريطانية كبحت ثبات الخنادق العثمانية، إلا أن وعورة الأرض عرقلت تقدم القوات البريطانية، وتبادل المشاة من الطرفين إطلاق النيران حتى أصبحت المعركة مأزقاً لعدّة ساعات، وبقي الوضع البريطاني يائساً جداً، حتى كاد ميلز يورّع الجنود على القوات البريطانية، وأصاب الجيش مصابب أليم، فضلاً عن استنزاف الذخيرة؛ بسبب مقتل البغال التي كادت أن تجلب الذخيرة إلى الجبهة، ومع ذلك، ففي الساعة الرابعة والربع، أظهر جنود كتيبة الدرسيّس حراهم، وأعلنوا تقدماً نحو المواضع العثمانية، وتابعتهم بقية القوات البريطانية، إلا أن هناك حالة من عدم الوضوح بالنسبة إلى أسباب ذلك التقدم؛ إذ إن الكلام المذكور جاء وفقاً لنون وأمره ميلز نفسه، في حين زعم (بركر) أن القرار كان مبادرة فردية لدى كتيبة الدرسيّس، ووفقاً لنون فإن القتال اللاحق كان «عملاً سريعاً وجيزاً، بائساً ودمويّاً»، لكنّه ناجح، وتسبب في هزيمة القوات

العثمانية<sup>(٧٤)</sup>.

وعلى الرغم من الخطأ التعبوي الأساس في خطة القائد سليمان العسكري الذي أصرّ على الهجوم الجبهوي بدلاً من إحكام الحصار على القوات البريطانية، وإنهائها، إلا أنّ البريطانيين تكبدوا في بداية الأمر الكثير من الخسائر؛ لذلك رأى الجنرال ميلز أن يُصدر أمراً بالانسحاب، ولكن أخطاء تكتيكية أدت إلى انهيار الجبهة العثمانية، ما أدّى إلى انتحار القائد سليمان باشا في يوم ١٤ نيسان عام ١٩١٥<sup>(٧٥)</sup>، وكادت القوات العثمانية النظامية والمتطوّعون العراقيون أن يحققوا نصراً عسكرياً كبيراً ربّما أدّى إلى انهيار عملية الاحتلال بالكامل، إلا أنّ المفاجأة غير المحسوبة كانت نتيجة حادث عرضي، أو لصدفة تمثلت في الغبار الذي أثارته العجلات والبغال البريطانية المنسحبة<sup>(٧٦)</sup>.

ومع ذلك، فقد غدت معركة الشعبية، من بين المعارك المهمة والحاسمة خلال الحرب العالمية الأولى لاحتلال العراق، وبلغت خسائر القوات البريطانية فيها كبيرة؛ إذ بلغت (١٢٠٠) بين قتيل وجريح، قابلها خسائر القوات العثمانية والمتطوّعين من أبناء العشائر ورجال الدين بحدود (٦٠٠٠) بين شهيد وجريح، أي: تجاوزت الخسائر البشرية فقط من الطرفين أكثر من (٧٠٠٠) قتيل وجريح، فضلاً عن الخسائر المادّية الأخرى في غضون أربعة أيام فقط في مساحة صغيرة من الأرض<sup>(٧٧)</sup>، ووصفها بعض القادة البريطانيين (بمعجزة الشعبية)؛ لأنّهم اعتقدوا أنّ انتصارهم فيها أنقذهم من عواقب وخيمة، ولما استطاعوا الانسحاب المنظم من البصرة؛ لوجود مياه الفيضان والأوحال الواسعة بينهم وبين البصرة، إلا أنّ (السّر أرنود تي ولسن) حاول التقليل من دور العشائر المشاركة في تلك المعركة،

وعزا ذلك إلى عدم طلب العثمانيين من العشائر ذلك<sup>(٧٨)</sup>، في الوقت الذي عيب على القائد سليمان العسكري قلة خبرته وثقته العالية بقيادة العشائر<sup>(٧٩)</sup>، وتكاد المصادر العربية والبريطانية تُجمع على دور العشائر، وخاصة عشائر الفرات الأوسط والمنتفك<sup>(٨٠)</sup>.

### الإدارة البريطانية في ولاية البصرة

واصل البريطانيون خلال السنوات الأولى من الحرب وضع أسس إدارة البلد المحتل، وقد واجهتهم جملة من المشاكل، كان في مقدمتها انسحاب الموظفين العثمانيين مستطحين معهم الوثائق والسجلات الحكومية، بينما أتلقت الحرب القسم الآخر منها<sup>(٨١)</sup>، وقد اتخذت قوات الاحتلال البريطاني من مدينة البصرة قاعدة لها خلال السنوات الأولى للحرب، ومارس فيها الضباط السياسيون -وفي مقدمتهم (السير بيرسي كوكس) ومعاونه (أرنولد ولسون)- نشاطهم السياسي واتصالاتهم لتأسيس نظام الإدارة المدنية<sup>(٨٢)</sup>.

تولى بيرسي مهمة استقبال القادمين من الهند وتوزيعهم على أساس حاجة القوات البريطانية في العراق بوصفهم ضباط سياسيين في الوحدات العسكرية، أو في الإدارة المدنية، واحتفظ لهم كوكس بسجلات خاصة بأسمائهم<sup>(٨٣)</sup>، وبعد احتلال مدينة البصرة في (٢٢ تشرين الثاني عام ١٩١٤) من قبل القوات البريطانية، وابتعادها عن خط القتال، فقد تم تحويل الرائد (ميك) من حاكم عسكري إلى ضابط سياسي لمدينة البصرة، يساعده في ذلك الملازم (مالكوم) في الزبير، والنقيب (مكدر من) في العشار. وقد واصل هؤلاء الضباط السياسيون

اتّصالاتهم لكسب عدد من المتنفّذين وبعض العناصر الراغبة للتعاون معهم<sup>(٨٤)</sup>. وفي ضوء نتائج المعركة العسكريّة ضدّ العثمانيين، فقد استمرّت بريطانيا باستبدال قادتها العسكريين، فبعد أن تمكّن الجنرال (أرنولد باريت) (١٩١٤ - ١٩١٥) من احتلال مدينة البصرة، حلّ محلّه الفريق (جون نكسن) في ٩ نيسان عام ١٩١٥)، وخاض بعد وصوله إلى العراق معركة الشّعبية، التي انتهت باندهار القوّات العثمانيّة. وفي (كانون الأوّل عام ١٩١٦)، استبدلت القيادة البريطانيّة الجنرال (نكسن) بالجنرال (بيرسي ليك)، الذي اقترح بناء السّكك الحديد في العراق لتسهيل مهمّة القوّات البريطانيّة المحاصرة في الكوت. وفي (آب عام ١٩١٦) أصبح الجنرال (مود) قائداً عاماً للقوّات البريطانيّة في العراق، الذي تمكّن من احتلال بغداد<sup>(٨٥)</sup>.

من جانب آخر، واصلت سلطات الاحتلال البريطانيّ خلال المدّة (١٩١٤ - ١٩١٥) تأسيس بعض الدوائر المتعلّقة بحاجة القوّات البريطانيّة المتواجدة في البصرة، التي كانت تتألّف من البريطانيّين، وكذلك الهنود الذين أجبرتهم الحكومة البريطانيّة على القتال ضدّ العثمانيين، وللعمل -أيضاً- في المشاريع التي تتطلّبها الحاجة العسكريّة البريطانيّة في العراق، وقد حصل هؤلاء الأجنبيّون في العراق على امتيازات فرضها القائد العامّ لقوّات الاحتلال البريطانيّ، ومن هذه الامتيازات السّيطرة على الأطعمّة والإيجارات ومياه الشّرب<sup>(٨٦)</sup>، وتحديد حركات الأشخاص من سكّان المناطق المحتلّة، وكذلك إجبار أصحاب الزّوارق وسوّاق العربات على نقل جميع الضبّاط البريطانيّين ونسائهم وكلّ العاملين في خدمتهم وتفضيلهم على سكّان البلد المحتلّ، وقد شدّدت سلطات

الاحتلال من خلال مجموعة من الإعلانات التي أصدرتها على عقوبة المخالفين لأوامر القوّات العسكريّة<sup>(٨٧)</sup>.

من الجدير بالذكر، أنّ بريطانيا قد اتّبعّت سياسة (تهنيد العراق)، وبخاصّة في المنطقة الجنوبيّة، من خلال إشاعة القوانين والأنظمة الهنديّة، ونقلت من الهند إلى الإدارة في العراق جميع العناوين والأسماء، مثل: الحاكم الملكيّ العامّ، والحاكم السّياسيّ، ومعاون الحاكم السّياسيّ، وضابط الواردات، وغيرها<sup>(٨٨)</sup>.

فضلاً عن ذلك، اصطحب المحتلّون معهم العديد من الخبراء في المجالات الفنيّة والقانونيّة، وقاموا بتقسيم البلاد إلى مناطق سياسيّة، وتعيين ضباط بريطانيّين في المراكز المهمّة، وأكثرهم كانوا من صغار السنّ وقليلي الخبرة؛ أضف إلى ذلك، عمدت الإدارة البريطانيّة على إيجاد نظام إداريّ تتركز فيه السّلطة الأساسيّة في أيّ من السّياسيّين ومعاونيهم من البريطانيّين، مع العمل على مشاركة العراقيّين في الوظائف الثانويّة؛ لذا اصطبغت الإدارة البريطانيّة في العراق بالصّبغة العسكريّة<sup>(٨٩)</sup>.

شعر البريطانيّون بضرورة إقامة إدارة للمدينة للملئ الفراغ الذي سبّبه العثمانيّون بانسحابهم، كما ذكرنا سابقاً؛ لذا أوكلت المهمّة إلى الضابط السّياسيّ الأقدم (برسي كوكس)، وقد حرص الأخير على عدم طغيان الطابع العسكريّ على إدارة مدينة البصرة؛ لذا سدّ نقص كادره الإداريّ بموظّفين مدنيّين اختيروا بالدّرجة الأولى من الموظّفين البريطانيّين والهنود العاملين في أجهزة حكومة الهند، وكذلك من موظّفي القنصليّات والشركات البريطانيّة في البصرة، ثمّ من العراقيّين الذين أبدوا تعاوناً مع سلطة الاحتلال، ومن ذوي المكانة الاجتماعيّة

والاقتصادية؛ لذا بعد أن اكتمل الحشد العسكري والمدني، باشر (برسي كوكس) بوضع الترتيبات، ومنها الإدارة الأمنية، ومهمتها المحافظة على الأمن للحد من الفوضى، فكانت الإدارة الأمنية تتكوّن من دائرة الحاكم العسكري، ودائرة الشرطة<sup>(٩٠)</sup>، والنسبة إلى دائرة الحاكم العسكري، فهي أول دائرة يتم تشكيلها في ولاية البصرة بعد احتلال القوات البريطانية المدينة في (٢٢ تشرين الثاني عام ١٩١٤)، وكان عليها الرائد (دارسي براونلو)، الذي عُيّن حاكماً عسكرياً لإدارة النظم الجديدة، والتوغّل في حياة أهلها توغلاً كلياً، وقد أُبدلت وظيفة السير برسي كوكس من الممثل السياسي إلى الحاكم السياسي بعد احتلال بريطانيا العراق<sup>(٩١)</sup>. وطلب (دارسي براونلو) من أهالي البصرة الالتزام بالهدوء والعودة إلى وظائفهم وأعمالهم اليومية، واستطاع تقسيم البصرة إلى منطقتين إداريتين وأمينتين، وهما: البصرة، وهي المركز، والعشّار، فجعلها تحت إشراف مساعديه الذين قاموا بتقسيم المنطقة إلى قطاعات<sup>(٩٢)</sup>.

ولم تقتصر دائرة الحاكم العسكري على الجانب الأمني، وإنما تعدّت إلى مهمّات كثيرة، كالمهمّات القضائية، وهو الحكم في المخالفات، والمهمّات التنفيذية، كتوفير مقرّات خلفيّة ومحلات للسكن، ومهمّات ماليّة، كفرض الضرائب والرّسوم، ومهمّات بلدية، كتنظيف المدينة وتوفير مياه الشّرب، هذا بالنّسبة إلى دائرة الحاكم العسكري؛ أمّا بالنّسبة إلى دائرة الشرطة، فهي أول دائرة أمنية تمّ تشكيلها في البصرة بعد أسبوع من احتلالها، تتولّى الأمور الأمنية الأساسيّة، وتألّفت من العقيد (أ. جي كريكسون)، وقد عُيّن عناصر اختارهم من موقع عمله السّابق في الهند، ولم يستخدم إلاّ القليل من العناصر المحليّة، ولاسيّما أصحاب الوجاهة

والنفوذ، الذين تعاونوا مع سلطة الاحتلال البريطانيّة، واتّخذت دائرة الشّرطة من مخافر الشّرطة العثمانيّة مقرّات لها، واستخدمت القوّة واتساع الرّعب بين السّكّان؛ للحدّ من الهجمات المسلحة التي تتعرّض لها المنشآت والدوريات البريطانيّة من قبل عناصر مجهولة، وكانت هناك الإدارة العثمانيّة، التي تُعدّ من أهمّ أركان الإدارة السّياسيّة في البصرة، وقد تألّفت من أوائل نيسان عام (١٩١٥) من البريطانيّ المقدّم (ستيورات جورج لو كس)، وهو ضابط عدلي أقدم عُيّن رئيساً، وإلى جانبه كان هناك معاون ومساعد، أمّا بالنّسبة إلى العراقيّين، فلم تستخدمهم سلطة الاحتلال في الإدارة العدليّة، على الرّغم من امتلاكهم الخبرة الإداريّة، فأصدر هذا الفريق المتكوّن من: (رئيس، ومعاون، ومساعد)، قانون المناطق العراقيّة المحتلّة، الذي أنجز على غرار القانون الجنائيّ المدنيّ الهنديّ، وبموجب هذا القانون قُسمت المحاكم على قسمين: شرعيّة (سنّيّة-جعفريّة)، ومدنيّة (حقوقيّة-جزائيّة)، واقتصر العمل بالمحاكم المدنيّة على مدينة البصرة فقط، أمّا باقي المناطق، فطبّق استخدام القوّة العسكريّة بها؛ وتمّ استخدام اللّغة العربيّة لغة رسميّة في المحاكم<sup>(٩٣)</sup>.

وتجدر الإشارة أنّه قد أوّجت دائرة متخصصّة للواردات، ومهامّها السيطرة على الموارد، على الرّغم من الصّعوبات التي تواجهها، كغياب موظّفيها العثمانيّين، وتبعثر سجلّاتها، وأصبح (هنري دوبس) معتمداً عليها، وعُيّن مساعد له هو (بولارد) البريطانيّ، فلم تقتصر هذه الدائرة على فرض واستحصال الضرائب، بل تعدّت للإشراف على شؤون الأوقاف والمعارف. وتشكّلت -كذلك- دائرة الصّحّة المدنيّة في أوائل عام (١٩١٥)، لمراقبة انتشار الأمراض بعد أن كانت

هذه المهّمات على عاتق الحاكم العسكري؛ كونها جزءاً من الحالة الأمنية، ولكي تواصل القوّات البريطانيّة فاعليّتها العسكريّة مهمّة ونشاط، فعليها أن لا تصيبها الأمراض، وفتح الحاكم العسكريّ مستوصفين، أحدهما في مركز البصرة، والآخر في العشار<sup>(٩٤)</sup>.

وقد وسّعت دائرة الصّحّة المدنيّة مستوصف البصرة، وحوّلته إلى مستشفى في كلّ سنّجق، وعملت على إنشاء مستوصف في كلّ قضاء وناحية، فبعد احتلال القوّات البريطانيّة لولاية البصرة، أصبحت هي قاعدتهم العسكريّة والإداريّة، فعملت على تقسيم المناطق حسب التقسيم العثمانيّ (لواء، قضاء، ناحية)، إبقاءً منها على هذا التقسيم، لكنّها غيرت التسميات، بدلاً من (سنّجق) أطلقت تسمية (منطقة)، وبدلاً من (قضاء) أطلقت (مقاطعة)، أمّا النّاحية، فبقيت على تسميتها؛ لذا قُسمت البصرة إلى أربع مناطق وسبع مقاطعات وثلاث وعشرين ناحية، وبعد احتلال الكوت مرّةً ثانية في كانون الثاني عام (١٩١٧)، ارتفع العدد إلى خمس مناطق وثمانية عشر مقاطعة وخمس وعشرين ناحية، فمنطقة البصرة، تألّفت من مقاطعات: البصرة أوّلاً، والقرنة ثانياً، ومنطقة العمارة ثلثاً، ومنطقة النّاصريّة رابعاً، وعلى هذا التقسيم نُظّمت الإدارة في الوحدات الإداريّة، وحسب درجتها الإداريّة، وعند إعلان هدنة (مودروس) (Armistice of Mudros) (٣٠ تشرين الأوّل عام ١٩١٨)، ألغي منصب الحاكم العسكريّ، وأُبقِيَ منصب الضّابط السّيّاسيّ بصفة حاكم سياسيّ وعسكريّ<sup>(٩٥)</sup>. وكان من مهّمات الإدارة المدنيّة في البصرة أيضاً، إقامة مطبعة خاصّة بالجيش لتلبية حاجات الجبهتين العسكريّة والمدنيّة معاً، فقد وصل في نيسان

عام (١٩١٦) (مستر ويكفورد)، المنسوب إلى مطبعة الحكومة الهندية في كلكتا؛ ليضطلع بتصريف شؤون المطبعة في البصرة، فقد كان طابعاً ماهراً مجرباً، وكان يعمل في المطبعة بريطانيون وعرب وهنود، وتولّى أمر مطبعة البصرة شركة ذات مسؤولية محدودة<sup>(٩٦)</sup>.

## الخاتمة

كان للعراق أهميّة استراتيجية كبيرة بالنسبة إلى بريطانيا، ترتبط بوجودها الاستعماريّ في الهند، فمن أجل المحافظة على وضعها هناك، وجدت أنّ من الضروريّ حماية كلّ الطرق المؤدّية إلى الهند، والسّيطرة على كلّ القواعد التي يمكن أن تهدّد تلك الطرق، ولتحقيق ذلك بذلت الدّبلوماسية البريطانيّة كلّ جهودها حتّى تمكّنت من أن تبني لها في العراق مركزاً متميّزاً، خاصّة في جنوب العراق.

ومثلما كانت حماية الهند ضروريّة لبريطانيا، فإنّ تنمية مصالحها في ولاية البصرة كانت ضروريّة أيضاً؛ ولذلك نمت لبريطانيا في العراق مصالح تفوق أيّة دولة أوروبيّة، وكانت مصالح تجاريّة بالدّرجة الأولى؛ لذلك كانت صادرات العراق لبريطانيا تشكّل نسبة كبيرة، وقد احتكرت السفن البريطانيّة نقل تسعة أعشار الحمولات التي مرّت عبر ميناء البصرة عام (١٩٠٠).

## الهوامش

- ١- عمّار يوسف عبد الله عويد العكيدّي، السّياسة البريطانيّة تجاه عشائر العراق (١٩١٤-١٩٤٥)، (أطروحة دكتوراه غير منشورة): ص ٥٥.
- ٢- ستار علك عبد الكاظم العقيليّ، التّطوّرات السّياسيّة في العراق وموقف النخبة السّياسيّة في إدارة الحلّة (١٩١٩-١٩٥٨)، (رسالة ماجستير غير منشورة): ص ٥.
- ٣- عبد الرزّاق الحسنيّ، تاريخ العراق السّياسيّ الحديث: ٦٩/١.
- ٤- عمّار يوسف العكيدّي، السّياسة البريطانيّة تجاه عشائر العراق: ص ٥.
- ٥- بشّار فتحي جاسم العكيدّي، صراع النفوذ البريطانيّ الأمريكيّ في العراق (١٩٣٩-١٩٥٨)، رسالة ماجستير غير منشورة: ص ٤.
- ٦- حسن علي خلف، المفصل في تاريخ مدينة النّاصريّة، دراسة تاريخيّة سياسيّة: ١٨١/١.
- ٧- بشّار فتحي جاسم العكيدّي، صراع النفوذ البريطانيّ الأمريكيّ في العراق: ص ٤.
- ٨- المصدر نفسه: ص ٥.
- ٩- عبد الرزّاق الحسنيّ، تاريخ العراق السّياسيّ الحديث: ٧٠/١.
- ١٠- عمّار يوسف عبد الله العكيدّي، السّياسة البريطانيّة تجاه عشائر العراق: ص ٥.
- ١١- المصدر نفسه.
- ١٢- المصدر نفسه.
- ١٣- صالح خضر محمّد، الدبلوماسيّون البريطانيّون في العراق (١٨٣١-١٩١٤): ص ١٢٧-١٢٩.
- ١٤- عبد الرزّاق الحسنيّ، تاريخ العراق السّياسيّ الحديث: ٧٠/١.
- ١٥- صالح خضر محمّد، المصدر السّابق: ص ٤٣.
- ١٦- عمّار يوسف عبد الله العكيدّي، المصدر السّابق: ص ٩.
- ١٧- ستار علك عبد الكاظم العقيليّ، المصدر السّابق: ص ٥.

- ١٨- صالح خضر محمّد، المصدر السابق: ص ١٢٩-١٣٠.
- ١٩- المصدر نفسه: ص ١٣١-١٣٥.
- ٢٠- بشار فتحي جاسم العكيدّي، المصدر السابق: ص ١٠.
- ٢١- المصدر نفسه: ص ٩.
- ٢٢- صالح خضر محمّد، المصدر السابق: ص ٤٨، ٥٠.
- ٢٣- المصدر نفسه: ص ٥١.
- ٢٤- إبراهيم خليل أحمد وجعفر عباس حميدي، تاريخ العراق المعاصر: ص ١٠.
- ٢٥- بشار فتحي جاسم العكيدّي، المصدر السابق: ص ١٤، ١٥.
- ٢٦- صالح خضر محمّد، المصدر السابق: ص ١٨٠.
- ٢٧- عبد الرزاق الحسيني، المصدر السابق: ٧١/١.
- ٢٨- طالب النقيب (١٨٧١-١٩٢٩): صاحب دور وزعامة في بداية القرن العشرين، وهو السيّد طالب السيّد رجب السيّد محمّد سعيد بن طالب بن درويش، الرفاعيّ، ولد في البصرة، وقامت أسرته على نقابة أشراف البصرة الذين ينتسبون إلى السيّد أحمد عليّ يحيى الرفاعيّ الكبير (١١١٨-١١٨٢)، صاحب الطريقة الرفاعيّة المتّصل نسبه بالإمام الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام. تعلّم ونشأ زعيماً في البصرة، تتلمذ على أساتذة اللّغة والعلوم الدّينيّة والعربيّة، ودرس التركيّة والفارسيّة والإنكليزيّة، وشيئاً من الهندية. ولما شبّ اشتغل بالحياة العامّة، فولع بالمغامرة وتجميع المحاور حوله، فمنحته الحكومة العثمانيّة (الرتبة الثانية)، ولما أبلّى في خدماته للجيش العثمانيّ، رقيّ إلى رتبة (التمايز) عام (١٨٩٥)، ثمّ إلى (ميرميران)، وسافر إلى الأستانة لتأكيد ولائه عام (١٨٩٩)، فعُيّن عام (١٩٠١) محافظاً لمنطقة الأحساء في (نجد)، ولأعماله المتميّزة في هذه المحافظة، مُنح الوسام العثمانيّ ورتبة (بالا) المرموقة، وبعد سنتين استقال من وظيفته، وعُيّن بعدها عضواً في ديوان شورى الدّولة بالأستانة (١٩٠٤-١٩٠٨)، وبعد تأسيس الحياة النيابيّة، عُيّن عضواً في مجلس النّواب (١٩٠٨-١٩١٤)، وبأساليبه الخاصّة استطاع أن يجعل بيته في البصرة مأوى لكلّ الأحرار الذين وقفوا ضدّ الحكومة العثمانيّة، ثمّ أسّس جمعيّة البصرة الاصلاحية عام (١٩١٣)، وأنشأ له بعض الجرائد، وامتدّ نفوذه إلى بغداد، فصار شخصيّة عامّة، مدحه الشعراء والكتّاب والخطباء، وفي هذه المرحلة تناقضت مصالحه مع مصالح الحكومة التّركيّة، فرحّل إلى الهند وإلى مصر عام

(١٩١٧)، ثم عاد إلى البصرة عام (١٩٢٠)، وعندما تألفت الحكومة (الوطنية) عام (١٩٢٠) برئاسة عبد الرحمن النقيب، عُيِّنَ وزيراً للدخالية، فاستشرى طموحه، وأخذ يستقطب إليه زعماء المدن الجنوبية، فنُحِّيَ عن منصبه، ونُفِيَ إلى جزيرة سيلان لمدة سنتين، ثم غادرها إلى بلدان أوروبا، ثم عاد إلى العراق عام (١٩٢٤)، وأعلن اعتزاله السياسي، وفي عام (١٩٢٩) رحل إلى ألمانيا للاستشفاء، فلم تفده مستشفياتها، فتوفي في (١٦ حزيران) من ذلك العام، ونُقل جثمانه، ودُفِنَ في البصرة. يُنظر: حميد المطبعي، موسوعة أعلام وعلماء العراق: ص ٤٢١.

٢٩- الشيخ خزعل: هو خزعل بن جابر مرداؤ، الكعبي، العامري، ولد عام (١٨٦٢)، نشأ في المحمرة، وتعلّم على أيدي بعض الشيوخ، وتدرّب على الفروسية. تولى الإمارة على أثر مقتل أخيه الشيخ مزعل عام (١٨٩٧). يُعدّ من الشخصيات العربية البارزة -آنذاك-. أدّى دوراً رئيساً في أحداث الخليج العربي في الربع الأول من القرن العشرين، وبشكل خاص في أثناء الحرب العالمية الأولى، بعد دخول القوات البريطانية البصرة، فقد توترت علاقته مع الدولة العثمانية محاولاً الاستفادة من التواجد البريطاني في المنطقة للعمل على استقلال إمارته من أطاع حكومة طهران، وعملت بريطانيا على كسب ثقته بإرسالها أسلحة للدفاع عن نفسه وإمارته عند الضرورة، خاصة بعد أن أعلنت بريطانيا الحرب على الدولة العثمانية بشكل رسمي عام (١٩١٤)؛ فضلاً عن ذلك، إن الشيخ خزعل كان واقعاً بين فكّي كماشة الدولة العثمانية من جهة البصرة، وحكومة طهران من الشمال، فأدركت بريطانيا ضرورة تأمين مصالحها بهذه الطريقة لضمان تأييد حلفائها في المنطقة، وقطع دابر الاعتداء البريطاني، وكسب ثقتهم بقوة الوجود البريطاني، فطلبت بريطانيا من الشيخ خزعل مساعدتها من أجل طرد العثمانيين من البصرة لاحتلالها مقابل وعد يقضي «بأن حكومة صاحب الجلالة مهما طرأ من التبدل على شكل الحكومة الفارسية سواء أكانت هذه الحكومة ملكية مستبدّة أم دستورية، مستعدّة لأن تمدّكم بالمساعدات اللازمة للحصول على حلّ يرضيكم ويرضينا معاً، إذ تجاوزت الحكومة الفارسية حدود الاختصاص وحقوقكم المعترف بها». توفي في عام ١٩٣٦ م. للمزيد من التفاصيل، يُنظر: محمود شاكر، موسوعة الخليج العربي: ٥٥٢/٢-٥٦٥.

٣٠- عليّ الوردّي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: ١٠٦/٤.

٣١- المصدر نفسه: ص ١٠٦.

٣٢- حسن عليّ عبد الله، البصرة في مذكرات سليمان فيضي، مجلّة القادسية للعلوم

- الإنسانية: مج ٨/ العدد (٢٠١)، ٢٠٠٥م: ص ٩-١٠.
- ٣٣- المصدر نفسه: ص ١٠.
- ٣٤- المصدر نفسه: ص ١٠.
- ٣٥- المصدر نفسه: ص ١٠.
- ٣٦- المصدر نفسه: ص ١١.
- ٣٧- المصدر نفسه: ص ١٢.
- ٣٨- محمد يوسف القرشي، المس بيل وأثرها في السياسة العراقية، (رسالة ماجستير غير منشورة): ص ١١٨.
- ٣٩- خالد حمود السعدون، الأوضاع القبلية في ولاية البصرة العثمانية (١٩٠٨-١٩١٨)، (أطروحة دكتوراه غير منشورة): ص ٣٦٥.
- ٤٠- عبد ربه سكران، المصدر السابق: ص ٢٦٨.
- ٤١- برسي كوكس (١٨٦٤-١٩٣٧): ضابط ودبلوماسي بريطاني، التحق بحكومة الهند عام (١٨٨٤)، وقضى المدة (١٨٩٦-١٩١٤) في الخليج العربي، شغل منصب المقيم السياسي في الخليج العربي عام (١٩٠٤)، ثم شغل منصب الوزير البريطاني المفوض في طهران (١٩١٨-١٩٢٠)، غادر إلى العراق ليصبح المندوب السامي البريطاني في العراق (١٩٢٠-١٩٢٣)، يُنظر: محمد يوسف القرشي، المصدر السابق: ص ٢٨.
- ٤٢- خالد حمود السعدون، المصدر السابق: ص ٣٦٦.
- ٤٣- حسن عليّ عبد الله، المصدر السابق: ص ١٣.
- ٤٤- المصدر نفسه: ص ١٣.
- ٤٥- المصدر نفسه: ص ١٤.
- ٤٦- المصدر نفسه: ص ١٨.
- ٤٧- عبد ربه سكران إبراهيم، موقف عشائر البصرة من الاحتلال البريطاني للعراق عام ١٩١٤، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية: مج ١٥، العدد (٤)، آيار ٢٠٠٨م: ص ٢٦٧.
- ٤٨- المس جيرترو ديبل، فصول من تاريخ العراق القريب (١٩١٤-١٩٢٠)، ترجمة: جعفر الخياط: ص ٤.
- ٤٩- شكري محمود نديم، حرب العراق (١٩١٤-١٩١٨): ص ٢٢-٢٣.

- ٥٠- المصدر نفسه: ص ٢٣.
- ٥١- عمّار يوسف عبد الله العكيدّي، المصدر نفسه: ص ٥٩.
- ٥٢- شكري محمود نديم، المصدر السابق: ص ٢٣-٢٤.
- ٥٣- محمّد صالح الزبيديّ، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في البصرة من خلال كتاب الرحالة الهنديّ (سي. أم. كرسنجي) (١٩١٦-١٩١٧)، مجلّة آداب البصرة، العدد (٦٣): مج ٢، ص ٧١١.
- ٥٤- نقلاً عن: المس جيرترو ديبيل، المصدر السابق: ص ٨.
- ٥٥- شكري محمود نديم، المصدر السابق: ص ٢٤-٢٥.
- ٥٦- جواد الظاهر، الوجيز في تاريخ العراق السّياسيّ الحديث منذ تأسيس الدولة العراقية (١٩٢١): ١/١٥٩-١٦٠.
- ٥٧- شكري محمود نديم، المصدر السابق: ص ٢٥-٢٦.
- ٥٨- المصدر نفسه: ص ٢٥-٢٦.
- ٥٩- ستار نوري العبوديّ وبريج، معركة الشعيبة في العراق نيسان (١٩١٥) بين رؤيتين عراقية وبريطانية، مجلّة كليّة التربية، العدد (٢٦): ص ١٨٩.
- ٦٠- شكري محمود نديم، المصدر السابق: ص ٢٧.
- ٦١- عبد الجبّار منديل، قراءة في مذكّرات الشّيخ صلال الموح من قادة ثورة العشرين القسم الأوّل، على الإنترنت:
- [http://www.al.nnas.com/ARTICLE/AMandel/11\\_sala\\_11.htm](http://www.al.nnas.com/ARTICLE/AMandel/11_sala_11.htm)
- ٦٢- ستار نوري العبوديّ وبريج، المصدر السابق: ص ١٨٩.
- ٦٣- شكري محمود نديم، سير عمليات الاحتلال عسكرياً أحوال العراق خلال الحرب العالمية الأولى: ص ٥٠-٥١.
- ٦٤- عبد الجبّار منديل، المصدر السابق.
- ٦٥- عبد الرزّاق الخلو: هو السيّد عبد الرزّاق، ابن السيّد عليّ ابن السيّد حسن، الخلو الجزائريّ، نشأ في كنف والده، وكان مفخرة الرّجال، تتلمذ على يد كلّ من الشّيخ آية الله الخراسانيّ، والشّيخ محمّد طه نجف، وله عدّة مؤلّفات، منها: (كتاب الطهارة) في أربعة مجلّدات، و(جامع الأحكام) في عشرين مجلّداً، وله -أيضاً- رسالة علمية بعنوان (منية

العاملين وبغية الرّاعيين)، وكان له دور كبير حين دخل الإنكليز إلى العراق؛ إذ كان في طليعة العلماء الذين أصدروا فتاواهم بوجوب الجهاد. للمزيد من التفاصيل، يُنظر: أسرة السّادة (الحلو)

<http://mk.iq/view.php?id=2530&ids=9>

٦٦- محمّد سعيد الحبوبي (١٨٤٩-١٩١٥): فقيه مجتهد، كتب الشّعر للتنفيس عن قضايا عامّة، ولد في النجف، وتفتّح على علوم الفقه والفلك وأصول الشّعر، ودرس على يد خاله الشّيخ عبّاس الأعمش فنون الأدب والشّعر، ثمّ رحل إلى مدينة (حابل) في الحجاز عام (١٨٦٤) مصطحباً والده للعمل، ثمّ عاد إلى النّجف عام (١٨٦٧)، فواصل دراساته في المدارس الاجتهاديّة الفقهيّة، فكوّن عقله تكويناً اجتهادياً مستقلاً؛ إذ كانت له نظرات اجتهاديّة في مسائل الدّين الفرعيّة، وحواشٍ وتعليقات على دروس وكتابات العلماء، وكان متأثراً في بدايته بأساتذته: محمّد طه نجف، وموسى شرارة، ومحمّد حسين الكاظمي، فاشتهر في الجوامع والأندية الثقافيّة في النجف، وقيل إنّه صادق جمال الدّين الأفغانيّ يوم كان يدرس في النّجف (١٨٣٩-١٨٩٧)، وبرز دوره عندما قاد الجيش الشعبيّ لمحاربة الإنكليز في منطقة (الشعيبة) عام (١٩١٤)، من آثاره: ديوان السيّد محمّد سعيد الحبوبيّ النجفيّ، طُبع ببيروت عام (١٩١٣) بعناية عبد العزيز الجواهريّ، وأعيد طبعه عدّة مرّات، وآخرها بعناية عبد الغفّار الحبوبيّ عام (١٩٨٠)، كتب عنه: محمّد رضا الشبيبيّ، ومحمّد مهدي البصير، وعليّ الخاقانيّ، ومحمّد سعيد محبوبية. يُنظر: حميد المطبوعيّ، المصدر السّابق: ص ٧١٩.

٦٧- شكري محمود نديم، سير عمليّات الاحتلال عسكريّاً: ص ٥١.

٦٨- ستّار نوري العبوديّ وبريج، المصدر السّابق: ص ١٩٠.

٦٩- شكري محمود نديم، سير عمليّات الاحتلال عسكريّاً: ص ٥١.

٧٠- ستّار نوري العبوديّ وبريج، المصدر السّابق: ص ١٩٠.

٧١- المصدر نفسه: ص ١٩١.

٧٢- المصدر نفسه: ص ١٩١.

٧٣- المصدر نفسه: ص ١٩٢.

٧٤- المصدر نفسه: ص ١٩٢.

٧٥- عبّاس العزّاويّ، تاريخ العراق بين احتلالين: ٢٧٩/٨.

- ٧٦- عليّ الورديّ، المصدر السابق: ص ١٤٧ .
- ٧٧- شكري محمود نديم، سير عمليّات الاحتلال عسكريّاً: ص ٥٠ .
- ٧٨- ستّار نوري العبوديّ وبريج، المصدر السابق: ص ١٩٣ .
- ٧٩- شكري محمود نديم، حرب العراق (١٩١٤-١٩١٨): ص ٢٧ .
- ٨٠- عليّ الورديّ، المصدر السابق: ص ١٢٩-١٣٤ .
- ٨١- المس جيرترو ديبل، المصدر السابق: ص ١٧-١٨ .
- ٨٢- ستيفن همسلي لونكريك، العراق الحديث من سنة (١٩٠٠-١٩٥٠)، ترجمة: سليم طه التكريتي: ١/ ١٤٢ .
- ٨٣- أرنولد تالبوت ولسن، بلاد ما بين النهرين، ترجمة: فؤاد جميل: ٢/ ١٠٢ .
- ٨٤- ستيفن همسلي لونكريك، المصدر السابق: ص ١٤٢-١٤٣ .
- ٨٥- أرنولد تالبوت ولسن، المصدر السابق: ص ٣٢٨ .
- ٨٦- ستيفن همسلي لونكريك، المصدر السابق: ص ١٤٤ .
- ٨٧- أناس همزة الجيلاويّ، الموظّفون البريطانيّون في العراق خلال فترتي الاحتلال والانتداب، مجلّة كليّة التربية الأساسيّة، العدد (٧)، آيار (٢٠١٢)، جامعة بابل: ص ١٩٧ .
- ٨٨- المصدر نفسه: ص ١٩٧ .
- ٨٩- عمّار يوسف عبد الله العكيديّ، المصدر السابق: ص ١١٣ .
- ٩٠- عدنان هرير جودة الشجيريّ، النظام الإداريّ في العراق (١٩٢٠-١٩٣٩) دراسة تاريخيّة، (أطروحة غير منشورة): ص ٢٧ .
- ٩١- عبد الرزّاق الحسنيّ، الثّورة العراقيّة الكبرى: ١/ ١٤٣-١٤٤ .
- ٩٢- عدنان هرير جودة الشجيريّ، المصدر السابق: ص ٢٨-٢٩ .
- ٩٣- المصدر نفسه: ص ٢٨-٢٩ .
- ٩٤- المصدر نفسه: ص ٣٣-٣٤ .
- ٩٥- المصدر نفسه: ص ٣٣-٤١ .
- ٩٦- سرار نلدتي، ولسون، بلاد ما بين النّهرين بين ولائتين، تعليق: فؤاد جميل: ٢/ ١٢٧-١٢٨ .

## المصادرُ والمراجعُ

### أولاً: الرسائلُ والأطروحاتُ الجامعيةُ

- ١- بشار فتحي جاسم العكيدّي، صراع النفوذ البريطانيّ الأمريكيّ في العراق (١٩٣٩-١٩٥٨)، رسالة ماجستير غير منشورة، كليّة التربية، جامعة الموصل، ٢٠٠٣م.
- ٢- خالد حمود السعدون، الأوضاع القبليّة في ولاية البصرة العثمانيّة (١٩٠٨-١٩١٨)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة أمّ القرى، كليّة الشريعة والدّراسات الإسلاميّة، ١٩٨٥م.
- ٣- ستّار علك عبد الكاظم العقيليّ، التطوّرات السياسيّة في العراق وموقف النخبة السياسيّة في إدارة الحلّة (١٩١٩-١٩٥٨)، رسالة ماجستير غير منشورة، كليّة التربية، جامعة الموصل، ٢٠٠٢م.
- ٤- عدنان هريز جودة الشجيريّ، النظام الإداريّ في العراق (١٩٢٠-١٩٣٩) دراسة تاريخيّة، (أطروحة دكتوراه غير منشورة)، كليّة الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٥م.
- ٥- عمّار يوسف عبد الله العكيدّي، السياسة البريطانيّة تجاه عشائر العراق (١٩١٤-١٩٤٥)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كليّة التربية، جامعة الموصل، ٢٠٠٢م.
- ٦- محمّد يوسف القريشيّ، المس بيل وأثرها في السياسة العراقيّة، رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد، ١٩٩٣م.

### ثانياً: الكتب العربيّة

- ١- إبراهيم خليل أحمد، وجعفر عبّاس حميدي، تاريخ العراق المعاصر، (د.ط)، الموصل، ١٩٨٩م.
- ٢- أرنولد تالبوت ولسن، بلاد ما بين النهرين، ترجمة: فؤاد جميل، بغداد، ١٩٧١م.

- ٣- جواد الظاهر، الوجيز في تاريخ العراق السياسي الحديث منذ تأسيس الدولة العراقية ١٩٢١م، بغداد، ٢٠٠٨م.
- ٤- حسن عليّ خلف، المفصل في تاريخ مدينة الناصرية دراسة تاريخية سياسية، (د.ط)، بغداد، ٢٠٠٥م.
- ٥- ستيفن همسلي لونكريك، العراق الحديث من سنة (١٩٠٠-١٩٥٠)، ترجمة: سليم طه التكريتي، بغداد، ١٩٨٨م.
- ٦- سرار نلدي، ويلسون، بلاد ما بين النهرين بين ولائين، تعليق: فؤاد جميل، الشؤون الثقافية، ط٢، بغداد، (د.ت).
- ٧- شكري محمود نديم، حرب العراق (١٩١٤-١٩١٨)، ط٤، شركة النبراس للنشر والتوزيع، الأعظمية، ١٩٦٤م.
- ٨- سير عمليات الاحتلال عسكرياً أحوال العراق خلال الحرب العالمية الأولى، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٢م.
- ٩- صالح خضر محمد، الدبلوماسيون البريطانيون في العراق (١٨٣١-١٩١٤)، بغداد، ٢٠٠٥م.
- ١٠- عبد الرزاق الحسيني، تاريخ العراق السياسي الحديث، دار الرافدين، ط٧، بيروت، ٢٠٠٨م.
- ١١- الثورة العراقية الكبرى، مؤسسة المحيّن، إيران، (د.ت).
- ١٢- عليّ الوردّي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، المكتبة الوطنية، بغداد، ١٩٧٤م.
- ١٣- المس جيرترو ديبيل، فصول من تاريخ العراق القريب (١٩١٤-١٩٢٠)، ترجمة: جعفر الخياط، بيروت، ١٩٧١م.

### ثالثاً: البحوث المنشورة

- ١- أناس حمزة الجيلاوي، الموظفون البريطانيون في العراق خلال فترتي الاحتلال والانتداب، مجلة كلية التربية الأساسية، العدد (٧)، جامعة بابل، آيار، ٢٠١٢م.
- ٢- حسن عليّ عبد الله، البصرة في مذكرات سليمان فيضي، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية،

- جامعة القادسيّة، مج ٨، العدد (٢٠١)، ٢٠٠٥م.
- ٣- ستّار نوري العبوديّ وبريج، معركة الشّعبية في العراق نيسان (١٩١٥) بين رؤيتين عراقيةً وبريطانيةً، مجلّة كليّة التربية، جامعة واسط، العدد (٢٦)، (د.ت).
- ٤- عبد ربّه سكران إبراهيم، موقف عشائر البصرة من الاحتلال البريطانيّ للعراق عام (١٩١٤)، مجلّة جامعة تكريت للعلوم الإنسانيّة، جامعة تكريت، مج ١٥، العدد (٤)، آيار ٢٠٠٨م.
- ٥- محمّد صالح الزبيديّ، الأوضاع الاقتصاديّة والاجتماعيّة في البصرة من خلال كتاب الرّحالة الهنديّ (سي. أم. كرستجي) (١٩١٦-١٩١٧م)، مجلّة آداب البصرة، مج ٢، العدد (٦٣)، ٢٠١٢م.

#### رابعاً: الموسوعات العربيّة

- ١- حميد المطبيّ، موسوعة أعلام وعلماء العراق، مؤسّسة الزّمان الدّوليّة للصحافة والنشر والمعلومات، بغداد، ٢٠١١م.
- ٢- محمود شاكر، موسوعة الخليج العربيّ، ج ٢، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٥م.

#### خامساً: المصادر المستقاة من شبكة المعلومات الدّوليّة (الإنترنت)

- ١- أسرة السّادة الحلو  
<http://mk.iq/view.php?id=2530&ids=9>
- ٢- عبد الجبّار منديل، قراءة في مذكّرات الشّيخ صلال الموح من قادة ثورة العشرين القسم الأوّل، على الإنترنت :  
<http://www.al.nnas.com/ARTICLE/AMandel/11 sala 11.htm>